التجارة في ميزان الإسلام

من المعلوم أنه يلزم لقوام وبقاء حياة الإنسان على الأرض تحقيق احتياجاته الرئيسية من مأكل ومشرب ولبس ومسكن ولا يتحقق في الحال الغالبة لدى البشر لكن البعض يسعى إلى كماليات يتزين بها عند الضرورات وتتحقق الرفاهية في الإنسان ويحصل الإنسان على ما يحتاجه من ضرورات بواحدة من هاتين الوسيلتين ولكن لهما ثالث ولكن لهما ثالث القهر: من القوى للضعيف وبه يستولي على ما يحتاجه بطريق النصب أو الاحتيال وتدخل السرقة في هذا المعنى أيضاً وهذا أمر لا يتوافق مع الإنسانية ورقيها ولكنه أسلوب أشبه بحال الغابة.

الهبة: وتوجد في عالم المثاليات الإنسانية إذ يعين القوى الضعيف ويساعد الغنى الفقير وهذا ما تهدف إليه مكارم الأخلاق وتدعو إليه عزائم الدين انطلاقاً من هذه القاعدة (حب لأخيك ما تحب لنفسك) لذا كانت الوسيلة الثالثة وهى كل ما يحتاجه الإنسان بمقابل مالي (بيعاً وشراءً) وبمقابل سلعي (مقايضة) ولهذا كان السبب في نشأة التجارة عن أبى سعيد الخدري ☺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**"التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء-** (الجامع الصغير). وفي رواية ابن ماجة (التاجر المسلم) وقد وردت التجارة في القرآن الكريم في مواضع متعددة إلا أنها في كل موضع يختلف المعنى من حال إلى آخر حسب المدلول ويمكن إجمالها تحت نوعين: الأول: التجارة مع الله في امتثال الأوامر واجتناب النواهي وقد أشار

القرآن إلى هذا النوع في ثلاثة مواضع:

- تجارة المجاهدين في سبيل الله بالروح والنفس والمال قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠} [الصف: ١٠].

- تجارة قراءة القرآن ومدارسته: قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩} [فاطر: ٢٩].

- تجارة الانشغال بالله عن كل ما سواه: قال تعالى:{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ } [النور: ٣٦]، والتجارة بهذا القصد هي التجارة الرابحة التي لا خسران فيها ويتضح ذلك من خلال حسن الجزاء وعظيم الثواب عقب كل نوع من هذه الأنواع.

- النوع الثاني: التجارة لأغراض دنيوية وأشار القرآن إلى هذا النوع في ثلاثة مواضع:

- تجارة المنافقين والمبطلين قال تعالى في سياق تقسيم الناس مؤمنهم وكافرهم:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦} [البقرة: ١٦].

- تجارة عباد الدنيا بتضييع الأعمار باستزادة الثروة والمال دون مراعاة مشروعية الاستزادة والانشغال لها عن التكاليف الدينية والواجبات الخلقية والاجتماعية:**"لن تزول قدما عبد يوم القيامة..."**- قال تعالى:{وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا} [الجمعة: ١١].

- لا بارك الله في عمل يلهى عن الصلاة كل عمل يلهى عن

الصلاة فهو عبادة للشيطان.

- التجارة في معاملة الخلق بيعاً وشراءً وتحقيق التبادل المنفعي بين الناس بتوفير الاحتياجات اللازمة للحياة قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ} [النساء: ٢٩].

قال تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ} [الجمعة: ١٠].

وهى من باب التعاون:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ } [المائدة: ٢]. وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى السوق فرآهم يتساومون ويتبايعون فاستمع إليهم بعد أن رأي صور المبيعات فقال:"**يا معشر التجار** - فانتبهوا لنداء النبي صلى الله عليه وسلم - **إن التجار يبعثون يوم القيامة فجار إلا من اتقى الله وبر وصدق**- (تدبر الحديث. الحلف. الكذب. التدليس)، قوله:"**من غشنا فليس منا**-،"**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة**- اعلم أن المستشار مؤتمن.

احتكار السلع وغلاء الأسعار قال صلى الله عليه وسلم :"**من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه**- في حين أن الله لم يعلن البراءة في القرآن إلا من المشركين قال تعالى:{ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ} [التوبة: ٣].

علة الكل والميزان:{وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢} [المطففين: ١ - ٢].

{فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ }

[الأعراف: ٨٥].

اتصف التجار بصفات حميدة.

من صفات الرسل التي وصفوا بها.

تجارة الأنبياء والعلماء وأهل الصلاح قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩} [النساء: ٦٩].

فهل من متعظ؟!

* * *